



سايكولوجية الفروق الفردية في الذكاء لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية

م.م. انتصار غالي نوار^a

^a مديرة تربية رياضية واسط – قسم الشؤون المالية

ARTICLE INFO

Article history:

Available online [16 October 2026]

Keywords:

الذكاء
الفروق الفردية
المرحلة الابتدائية
علم النفس التربوي
التحصيل الدراسي

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة سايكولوجية الفروق الفردية في الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية، وبيان أثر هذه الفروق في التعلم والتحصيل الدراسي داخل البيئة المدرسية. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل الأدبيات النفسية والتربوية والدراسات السابقة التي تناولت مفهوم الذكاء، والفروق الفردية، والعوامل المؤثرة فيهما، وأدوات القياس النفسي المناسبة للأطفال. وتوصل البحث إلى أن الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية يمثل قدرة عقلية متعددة الأبعاد، تتأثر بتفاعل العوامل الوراثية والبيئية والتربوية، وأن الفروق الفردية بين التلاميذ تظهر في سرعة التعلم، ومستوى الفهم، والانتباه، والقدرة على حل المشكلات. كما بين البحث أن تجاهل هذه الفروق داخل الصف الدراسي يؤدي إلى ضعف التحصيل وانخفاض الدافعية، في حين أن مراعاتها تساعد على تحسين جودة التعليم وتحقيق العدالة التربوية. ويوصي البحث بضرورة اعتماد طرائق تدريس متنوعة، واستخدام أدوات قياس نفسية مناسبة، وتدريب المعلمين على تشخيص الفروق الفردية والتعامل معها بما يساهم في تنمية قدرات التلاميذ العقلية والمعرفية.

Abstract

This research aims to examine the psychology of individual differences in intelligence among primary school students and identify their impact on learning and academic achievement in the school environment. The study used a descriptive analytical method, analyzing psychological and educational literature and previous studies on intelligence, individual differences, the factors influencing them, and appropriate psychological measurement tools for children. The research concluded that intelligence among primary school students represents a multidimensional mental ability influenced by the interaction of genetic, environmental, and educational factors. It also found that individual differences among pupils appear in learning speed, level of comprehension, attention, and problem-solving ability. Furthermore, the research showed that ignoring these differences inside the classroom leads to weak academic achievement and decreased motivation toward learning, whereas taking them into account contributes to improving the quality of education and achieving educational equity. The research recommends adopting diverse teaching methods, using appropriate psychological measurement tools, and training teachers to identify individual differences and deal with them in a way that contributes to developing pupils' mental and cognitive abilities.

© 2026 Madenat Al-elem University College. Published by JMAUC. This is an open access article.

1. المقدمة

ومن هذا المنطلق، يأتي هذا البحث لتسليط الضوء على سايكولوجية الفروق الفردية في الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية، من خلال بيان مفهوم الذكاء والفروق الفردية، واستعراض أهم النظريات المفسرة لهما، وتحليل العوامل المؤثرة في نمو الذكاء، فضلاً عن توضيح التطبيقات التربوية للفروق الفردية وأهميتها في تطوير العملية التعليمية وتحقيق تعليم أكثر عدالة وفاعلية يراعي قدرات المتعلمين واحتياجاتهم المختلفة.

2. مشكلة البحث

تعد الفروق الفردية في الذكاء من القضايا الجوهرية في علم النفس التربوي، ولا سيما في المرحلة الابتدائية التي تمثل الأساس في تشكيل البنية المعرفية للطفل. ويلاحظ في البيانات المدرسية تفاوت واضح بين طلبة المرحلة الابتدائية في مستوى الفهم، وسرعة التعلم، والقدرة على حل المشكلات، على الرغم من خضوعهم لنفس المناهج وأساليب التدريس (Sternberg, 2018, p. 24).

وتكمن مشكلة البحث في أن العديد من النظم التعليمية لا تزال تعتمد أساليب تعليمية موحدة لا تراعي هذا التباين في القدرات العقلية، مما يؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي لدى بعض التلاميذ، وظهور مشكلات نفسية وسلوكية مثل ضعف الدافعية، الإحباط، أو العزوف عن التعلم. كما أن الاعتماد المحدود على أدوات القياس النفسي المناسبة للمرحلة العمرية يساهم في ضعف تشخيص الفروق الفردية في الذكاء.

يُعد الذكاء من أهم الموضوعات التي حظيت باهتمام علماء النفس والتربية؛ لما له من دور أساسي في توجيه سلوك الفرد وتحديد مستوى أدائه وقدرته على التعلم والتكيف مع البيئة المحيطة. وتبرز أهمية دراسة الذكاء بصورة خاصة في المرحلة الابتدائية، إذ تمثل هذه المرحلة الأساس الذي تُبنى عليه القدرات العقلية والمعرفية للطفل، وفيها تتشكل المهارات التعليمية الأولى التي تؤثر في مسيرته الدراسية اللاحقة.

وتُظهر البيانات التعليمية وجود فروق فردية واضحة بين التلاميذ في مستوى الفهم والاستيعاب وسرعة التعلم والقدرة على حل المشكلات، على الرغم من تشابههم في العمر الزمني وخضوعهم للمناهج الدراسية نفسها. ويُعد فهم هذه الفروق وتحليل أسبابها من الموضوعات المهمة في علم النفس التربوي، لما لها من تأثير مباشر في التحصيل الدراسي والتوافق النفسي والاجتماعي للمتعلمين.

وقد اهتمت الدراسات النفسية والتربوية بتفسير الفروق الفردية في الذكاء من خلال مجموعة من النظريات التي تناولت العوامل الوراثية والبيئية والتربوية المؤثرة فيه، مؤكدة أن الذكاء ليس قدرة ثابتة، بل قابل للنمو والتطور في ظل بيئة تعليمية مناسبة. كما أسهمت أدوات القياس النفسي في الكشف عن هذه الفروق وتحديد مستويات القدرات العقلية لدى الأطفال بصورة أكثر دقة وموضوعية.

وبناءً على ما تقدم، تبرز الحاجة إلى دراسة سايكولوجية الفروق الفردية في الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية، لفهم طبيعة هذه الاختلافات وأسبابها وآثارها التربوية.

3. أهمية البحث:

تنبثق أهمية النظرية لهذا البحث من الأهمية البالغة للمرحلة الابتدائية في نمو القدرات العقلية والنفسية للطفل، إذ تشكل هذه المرحلة الأساس الذي تُبنى عليه المراحل التعليمية اللاحقة. وتكمن الأهمية العلمية للبحث في إسهامه في إثراء الدراسات النفسية والتربوية المتعلقة بالذكاء والفروق الفردية لدى الأطفال، من خلال تقديم إطار نظري وتطبيقي يوضح طبيعة الذكاء في هذه المرحلة العمرية. أما الأهمية التطبيقية، فتتمثل في إفادة المعلمين والمختصين التربويين من نتائج هذا البحث في تطوير استراتيجيات التدريس لتراعي الفروق الفردية بين التلاميذ، وتحسين أساليب التقويم، وتصميم برامج تعليمية مناسبة لقدرات الطلبة. كما يساهم البحث في مساعدة الإدارات المدرسية وصنّاع القرار على تبني سياسات تعليمية أكثر عدالة ومرونة، وتساهم في تنمية قدرات الأطفال وتحقيق تكافؤ الفرص التعليمية.

4. هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والتربوية، يأتي في مقدمتها:

1- التعرف إلى مفهوم الذكاء وطبيعته النفسية لدى طلبة المرحلة الابتدائية.

2- وبيان مظاهر الفروق الفردية بينهم في القدرات العقلية.

3- كما يسعى البحث الحالي إلى تحديد أهم العوامل الوراثية والبيئية والتربوية التي تساهم في تشكيل هذه الفروق.

4- وتحليل أثرها في التحصيل الدراسي وأساليب التعلم.

5- ويهدف البحث أيضاً إلى استعراض أبرز النظريات النفسية المفسرة للذكاء، وأهم أدوات القياس النفسي المناسبة للأطفال في المرحلة الابتدائية. إضافة إلى ذلك.

6- يسعى البحث إلى إبراز التطبيقات التربوية للفروق الفردية في الذكاء، وتقديم مقترحات عملية تساعد المعلمين على مراعاة هذه الفروق داخل الصف الدراسي، بما يساهم في تحسين جودة العملية التعليمية وتنمية القدرات العقلية للطلبة.

5. حدود البحث:

يقصر هذا البحث على دراسة سايكولوجية الفروق الفردية في الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية، دون التوسع في المراحل التعليمية الأخرى. وتتمثل:

1- الحدود البشرية في طلبة المرحلة الابتدائية، مع التركيز على الخصائص النمائية والعقلية المرتبطة بهذه الفئة العمرية.

2- الحدود الموضوعية، فتشمل دراسة مفهوم الذكاء، العوامل المؤثرة فيه، أدوات قياسه، وتطبيقات الفروق الفردية في المجال التربوي، دون التطرق إلى الجوانب الإكلينيكية أو الاضطرابات العقلية.

3- كما يلتزم البحث بالحدود المنهجية المتمثلة في الاعتماد على الأدبيات النفسية والتربوية والدراسات السابقة ذات الصلة، وفي حال وجود تطبيقات عملية فإنها تكون ضمن إطار تربوي تعليمي.

4- ويحد البحث زمنياً بالاعتماد على المصادر العلمية الحديثة نسبياً لضمان حداثة الطرح ودقته.

6. تحديد المصطلحات:

1- **سايكولوجية الفروق الفردية:** هي الفرع من علم النفس الذي يهتم بدراسة أوجه الاختلاف بين الأفراد في الخصائص العقلية والانفعالية والجسمية والاجتماعية، وتحليل أسباب هذه الاختلافات ونتائجها، بهدف فهم السلوك الإنساني وتفسير التباين بين الأفراد في القدرات والاستعدادات المختلفة (القريوتي، 2015، ص 21).

2- **الذكاء:** يعرف الذكاء بأنه القدرة العامة للفرد على التعلم والفهم والاستدلال وحل المشكلات والتكيف مع المواقف والظروف الجديدة، بما يمكنه من التعامل الفعال مع البيئة المحيطة وتحقيق التوافق معها (زهران، 2005، ص 188).

3- **طلبة المرحلة الابتدائية:** هم الأطفال المتلقون بالمرحلة التعليمية الأولى في النظام التعليمي، وتتراوح أعمارهم غالباً بين (6-12) سنة، وتعد هذه المرحلة الأساس في تنمية المهارات المعرفية واللغوية والاجتماعية، وفي بناء القدرات العقلية والشخصية للطفل (الشناوي، 2010، ص 73).

7. الاطار النظري:

7.1 سايكولوجية الفروق الفردية في الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية

يعد الذكاء من المفاهيم الأساسية في علم النفس التربوي، لما له من دوراً محورياً في تفسير التعلم، والتكيف، والقدرة على حل المشكلات، ولا سيما في مرحلة الطفولة التي تمثل الأساس في بناء الشخصية والقدرات العقلية للإنسان (Sternberg, 2022, p. 87). وقد اهتم علماء النفس منذ وقت مبكر بدراسة الذكاء والفروق الفردية فيه، انطلاقاً من ملاحظة التباين الواضح بين الأطفال في مستوى الفهم، وسرعة التعلم، والاستجابة للمواقف التعليمية، على الرغم من تشابههم في العمر الزمني والبيئة المدرسية (زهران، 2005، ص 189). وتزداد أهمية هذا الموضوع في المرحلة الابتدائية، كونها المرحلة التي تتبلور فيها المهارات العقلية الأساسية مثل القراءة والكتابة والحساب.

وتشير الأدبيات النفسية إلى أن الفروق الفردية في الذكاء ظاهرة طبيعية ملازمة للطبيعة الإنسانية، ولا يمكن تجاهلها في العملية التعليمية دون أن يترتب على ذلك آثار سلبية في التحصيل الدراسي والدافعية للتعلم. وقد أكد العديد من الباحثين أن اعتماد أساليب تعليمية موحدة دون مراعاة هذه الفروق يؤدي إلى ضعف التفاعل الصفّي، وظهور مشكلات نفسية وسلوكية لدى بعض التلاميذ، خاصة ذوي القدرات العقلية المتوسطة أو المنخفضة (مرسي، 2008، ص 142). وبناءً على ما تقدم، فإن دراسة سايكولوجية الفروق الفردية تمثل مدخلاً أساسياً لفهم طبيعة الاختلافات العقلية بين التلاميذ وتفسيرها تفسيراً علمياً.

كما أن تطور مفهوم الذكاء عبر مراحل متعددة، بدءاً من النظر إليه بوصفه قدرة عقلية عامة قابلة للقياس، وصولاً إلى اعتباره بنية متعددة الأبعاد تتأثر بعوامل وراثية وبيئية وتربوية. وقد أشار (القريوتي، 2015) إلى أن الذكاء لا يُعد صفة ثابتة، بل قدرة قابلة للنمو والتطور تبعا للخبرات التعليمية ونوعية البيئة التي ينشأ فيها الطفل (القريوتي، 2015، ص 25). ويكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة عند دراسة ذكاء طلبة المرحلة الابتدائية، حيث يكون الذكاء في هذه المرحلة أكثر مرونة وقابلية للتشكيل.

وعلاوة على ذلك، يهدف هذا المبحث أيضاً إلى تقديم إطار نظري شامل لسايكولوجية الفروق الفردية في الذكاء، من طريق توضيح المفاهيم الأساسية للذكاء والفروق الفردية، عرض أبرز النظريات النفسية التي تناولت تفسير الذكاء. كما يسعى إلى بناء قاعدة علمية تمهّد لدراسة العوامل المؤثرة في الذكاء وتطبيقات الفروق الفردية في المجال التربوي، بما يساهم في تطوير العملية التعليمية وتحقيق تعليم أكثر عدالة وفاعلية لطلبة المرحلة الابتدائية.

المطلب الأول: المفاهيم العامة للذكاء والفروق الفردية

أن الذكاء والفروق الفردية من المفاهيم الأساسية التي يعتمد عليها علم النفس التربوي، لما لهما من أثر مباشر في تفسير السلوك التعليمي للأطفال داخل البيئة المدرسية. وتزداد أهمية هذين المفهومين عند دراسة طلبة المرحلة الابتدائية، حيث تتشكل القدرات العقلية الأساسية، وتظهر بوضوح الفروق في سرعة التعلم، ومستوى الفهم، والقدرة على الاستيعاب وحل المشكلات. ويهدف هذا المطلب إلى توضيح الإطار المفاهيمي لكل من الذكاء والفروق الفردية، وبيان خصائصهما وأهميتهما التربوية، تمهيداً لفهم أعمق للعوامل المؤثرة في الذكاء وتطبيقاته العملية.

أولاً: مفهوم الذكاء وخصائصه لدى طلبة المرحلة الابتدائية:

يُعرف الذكاء في علم النفس بأنه القدرة العامة التي تمكن الفرد من الفهم، والتعلم، وحل المشكلات، والتكيف مع البيئة المحيطة. وقد أشار (زهران، 2005)، إلى أن الذكاء يمثل طاقة عقلية عامة تتجلى في التفكير المجرد، والقدرة على الاستدلال، والتصرف السليم في المواقف المختلفة (زهران، 2005، ص 188). ويأخذ الذكاء لدى الأطفال في المرحلة الابتدائية طابعاً نمائياً، إذ لا يكون ثابتاً أو مكتملاً، بل ينمو تدريجياً مع التقدم في العمر والخبرة التعليمية.

وتتميز خصائص الذكاء في هذه المرحلة بعدة سمات، من أبرزها سرعة النمو المعرفي، والانتقال التدريجي من التفكير الحسي إلى التفكير شبه المجرد، إضافة إلى ازدياد القدرة على الربط بين المفاهيم البسيطة. وقد أكد (عبد الرحمن، 2012)، أن الذكاء في الطفولة يتميز بالمرونة والقابلية للتعديل، ويتأثر بدرجة كبيرة بأساليب التدريس والبيئة الصفية (عبد الرحمن، 2012، ص 48). وهذا ما يجعل المرحلة الابتدائية مرحلة حاسمة في تنمية القدرات العقلية للأطفال.

كما يشير (القريوتي، 2015)، إلى أن الذكاء لا يقتصر على التحصيل الدراسي فقط، بل يشمل القدرة على التكيف الاجتماعي، وفهم التعليمات، واستخدام اللغة، والانتباه، وحل المشكلات اليومية (القريوتي، 2015، ص 24). وتظهر هذه القدرات لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بدرجات متفاوتة، مما يؤدي إلى تباين مستويات الأداء داخل الصف الواحد.

وأكدت الدراسات التربوية أن فهم خصائص الذكاء لدى الأطفال يساعد المعلمين على اختيار طرق التدريس المناسبة، وتجنب مقارنة التلاميذ بعضهم ببعض بصورة سلبية، والتركيز بدلاً من ذلك على تنمية قدرات كل طفل وفق إمكانياته الفردية (مرسي، 2008، ص 144).

ثانياً: مفهوم الفروق الفردية وأهميتها التربوية

تشير الفروق الفردية إلى الاختلافات التي يظهرها الأفراد في قدراتهم العقلية، وسماتهم النفسية، واستعداداتهم، حتى وإن تشابهوا في العمر الزمني أو البيئة التعليمية. ويعرف (زهران، 2005) الفروق الفردية بأنها الانحرافات الفردية عن المتوسط العام في الصفات النفسية والعقلية، وهي ظاهرة طبيعية ملازمة للتكوين الإنساني (زهران،

لأنه يراعي خصائص النمو العقلي والانفعالي في مرحلة الطفولة (مرسي، ٢٠٠٨، ص١٤٦).

ومن أبرز ملامح الاتجاه الحديث التأكيد على تعدد أشكال الذكاء، حيث يرى هذا الاتجاه أن الأطفال يختلفون في أنماط ذكائهم، فقد يتميز بعضهم في الذكاء اللغوي، بينما يتفوق آخرون في الذكاء الحركي أو الاجتماعي. وقد أشار (عبد الحميد، 2018)، إلى أن هذا التصور يساعد المعلمين على فهم أسباب اختلاف أداء التلاميذ داخل الصف، ويدعو إلى تنويع طرائق التدريس بما يتناسب مع قدرات المتعلمين المختلفة (عبد الحميد، ٢٠١٨، ص٩٠).

كما ركزت النظريات الحديثة على قابلية الذكاء للنمو والتطور، مؤكدة أن الذكاء ليس صفة ثابتة، بل قدرة يمكن تنميتها من خلال التعليم الجيد، والبيئة المحفزة، والتفاعل الاجتماعي الإيجابي. ويؤكد (القريوتي، 2015)، أن هذا التصور يعزز دور المدرسة في تنمية القدرات العقلية للتلاميذ، ويجعل من مراعاة الفروق الفردية مدخلاً أساسياً لتحقيق تعليم فعال (القريوتي، ٢٠١٥، ص٢٨).

وتبرز أهمية هذه النظريات الحديثة في المجال التربوي من طريق انعكاسها على تصميم المناهج الدراسية، واختيار أساليب التدريس المناسبة، وتقويم أداء التلاميذ. فهي تدعو إلى الابتعاد عن الأساليب الموحدة، والتركيز على التعليم المتميز الذي يراعي الفروق الفردية في الذكاء والاستعداد، وهو ما يساهم في تحسين التحصيل الدراسي وتنمية شخصية الطفل بصورة متكاملة (Gardner, 2011, p. 83).

وبناءً على ما تقدم يتضح من طريقة هذا المطلب أن النظريات النفسية، سواء التقليدية أو الحديثة، قدمت إسهامات مهمة في تفسير الذكاء والفروق الفردية بين التلاميذ. ففي حين أرست النظريات التقليدية الأساس العلمي لقياس الذكاء، جاءت النظريات الحديثة لتقديم رؤية أكثر شمولاً تراعي طبيعة النمو العقلي والانفعالي لدى طلبة المرحلة الابتدائية. ويشكل هذا الفهم النظري قاعدة أساسية لتطبيقات الفروق الفردية في المجال التربوي، وهو ما سيتم عرضه في المباحث اللاحقة.

7.2 العوامل المؤثرة في الذكاء وتطبيقات الفروق الفردية

يعتمد الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية نتاجاً لتفاعل مجموعة من العوامل الوراثية والبيئية والتربوية التي تساهم كمجموعة في تشكيل القدرات العقلية للأطفال، وتفسير الفروق الفردية بينهم في مستوى الفهم وسرعة التعلم والتحصيل الدراسي. وقد أكدت الدراسات النفسية والتربوية أن الذكاء لا يُعد صفة فطرية ثابتة، بل قدرة قابلة للنمو والتطور تبعاً للظروف البيئية ونوعية الخبرات التعليمية التي يتعرض لها الطفل، ولا سيما في سنواته الدراسية الأولى (القريوتي، ٢٠١٥، ص٢٦).

وتبرز أهمية دراسة العوامل المؤثرة في الذكاء في كونها تمكن الباحثين والمعلمين من فهم أسباب التباين بين التلاميذ، وتساعد على تشخيص القدرات العقلية بصورة أدق، بعيداً عن التفسيرات الأحادية التي تُرجع الذكاء إلى عامل واحد فقط. وقد أشار (زهران، 2005) إلى أن الفروق الفردية في الذكاء ترجع إلى تفاعل معقد بين الوراثة والبيئة، وأن المدرسة تمثل أحد أهم العوامل البيئية التي يمكن أن تساهم في تنمية الذكاء أو إعاقته تبعاً لأساليب التعليم المتبعة (زهران، ٢٠٠٥، ص١٩٦).

كما أن الاهتمام بتطبيقات الفروق الفردية في الذكاء يُعد ضرورة تربوية ملحة، خاصة في المرحلة الابتدائية، حيث تظهر الحاجة إلى اعتماد أساليب تدريس مرنة تراعي قدرات التلاميذ المختلفة. وقد أكد (مرسي، 2008)، أن تجاهل الفروق الفردية يؤدي إلى ضعف فاعلية التعليم، في حين أن مراعاتها تساهم في تحسين التحصيل الدراسي، وتعزيز الدافعية للتعلم، وتنمية شخصية الطفل بصورة متكاملة (مرسي، ٢٠٠٨، ص١٤٨).

وعلاوة على ذلك، يهدف هذا المبحث إلى بيان أهم العوامل المؤثرة في الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية، وبيان التطبيقات التربوية والمهنية للفروق الفردية في الذكاء. ولتحقيق هذا الهدف، ينقسم المبحث إلى مطلبين رئيسيين، تطرق كل منهما جانباً أساسياً من جوانب الموضوع.

المطلب الأول: العوامل الوراثية والبيئية المؤثرة في الذكاء

إن الذكاء من الظواهر النفسية المعقدة التي لا يمكن تفسيرها اعتماداً على عامل واحد، إذ تشير الدراسات النفسية والتربوية إلى أنه نتاج تفاعل مستمر بين الاستعدادات الوراثية التي يولد بها الفرد، والعوامل البيئية التي تحيط به منذ مراحل حياته الأولى. وتكتسب دراسة هذه العوامل أهمية خاصة عند التطرق إلى ذكاء طلبة المرحلة الابتدائية، كون هذه المرحلة تمثل فترة حساسة في النمو العقلي، حيث تتشكل القدرات المعرفية الأساسية، وتظهر الفروق الفردية بين الأطفال بشكل واضح في التحصيل الدراسي، والانتباه، وسرعة التعلم (Ceci, 1991, pp. 704-705).

وقد أكد الباحثون أن الذكاء لا يُعد قدرة ثابتة، بل هو قابل للنمو والتعديل تبعاً لطبيعة البيئة الأسرية والتعليمية، وجودة الرعاية والتنشئة الاجتماعية (القريوتي، ٢٠١٥، ص٢٦). ومن هنا، يهدف هذا المطلب إلى تحليل العوامل الوراثية والبيئية المؤثرة في الذكاء، وبيان دور كل منها في تفسير الفروق الفردية بين طلبة المرحلة الابتدائية، من طريق فرعين رئيسيين: الأول يتطرق عرض التأثيرات الوراثية والبيولوجية، والثاني يعالج التأثيرات البيئية والاجتماعية.

(٢٠٠٥، ص ١٩٠). وتبرز هذه الفروق بوضوح لدى طلبة المرحلة الابتدائية في سرعة التعلم، ومستوى الفهم، والانتباه، والذاكرة.

وتكمن الأهمية التربوية للفروق الفردية في كونها الأساس الذي تُبنى عليه العملية التعليمية الفعالة. فقد أكد (مرسي، 2008)، أن تجاهل الفروق الفردية يؤدي إلى ضعف التحصيل الدراسي، وزيادة الشعور بالإحباط لدى بعض التلاميذ، وخاصة أولئك الذين لا تتناسب قدراتهم مع الأساليب التعليمية الموحدة (مرسي، ٢٠٠٨، ص ١٤٣). وبناءً على ما تقدم، فإن مراعاة الفروق الفردية تمثل مبدأً تربوياً أساسياً لتحقيق العدالة التعليمية.

كما يشير (القريوتي، 2015) إلى أن الفروق الفردية في الذكاء ترجع إلى تفاعل معقد بين العوامل الوراثية والبيئية، وأن المدرسة تلعب دوراً رئيسياً في تقليص الفروق السلبية وتنمية القدرات الكامنة لدى الأطفال (القريوتي، ٢٠١٥، ص ٢٦). ويتحقق ذلك من طريق تنويع الأنشطة التعليمية، واستخدام أساليب التدريس المتعددة تراعي أنماط التعلم المختلفة.

ويؤكد (عبد الحميد، 2018)، أن إدراك المعلم للفروق الفردية بين التلاميذ يساعده على تخصيص قدرات التلاميذ بدقة، واختيار أساليب التقويم المناسبة لهم، وتصميم برامج تعليمية تراعي الفروق في الذكاء والاستعداد (عبد الحميد، ٢٠١٨، ص ٨٩). وبذلك، تصبح الفروق الفردية عنصراً إيجابياً يساهم في تطوير العملية التعليمية بدلاً من أن تكون عائقاً أمامها (Woolfolk, 2020, p. 246).

وبناءً على ما تقدم، يرى الباحث من طريق هذا المطلب أن الذكاء والفروق الفردية يمثلان أساساً نظرياً مهماً لفهم التباين بين طلبة المرحلة الابتدائية في القدرات العقلية والأداء الدراسي. كما أن إدراك خصائص الذكاء في هذه المرحلة، وفهم طبيعة الفروق الفردية وأهميتها التربوية، يشكلان مدخلاً ضرورياً لتطوير العملية التعليمية وبناء برامج تربوية تراعي احتياجات المتعلمين المختلفة.

المطلب الثاني: النظريات النفسية والحديثة في تفسير الذكاء

تعد النظريات النفسية في تفسير الذكاء الإطار العلمي الذي من طريقه يمكن فهم طبيعة القدرات العقلية وتفسير الفروق الفردية بين الأفراد، ولا سيما لدى طلبة المرحلة الابتدائية. وقد شهد مفهوم الذكاء تطوراً ملحوظاً عبر مراحل مختلفة من تاريخ علم النفس، إذ انتقل من النظرة البسيطة التي تراه قدرة عقلية واحدة عامة، إلى تصورات أكثر شمولاً تؤكد تعدد أبعاده وتنوع مظاهره. وتكتسب دراسة هذه النظريات أهمية خاصة في المجال التربوي، لأنها تمثل الأساس الذي تُبنى عليه أدوات القياس، وطرائق التدريس، وبرامج رعاية المتعلمين. ويهدف هذا المطلب إلى استعراض وتحليل أبرز النظريات النفسية التقليدية والحديثة التي فسرت الذكاء، مع بيان مدى ملاءمتها لفهم ذكاء طلبة المرحلة الابتدائية.

أولاً: النظريات النفسية التقليدية في تفسير الذكاء

تعد النظريات التقليدية من أوائل المحاولات العلمية التي سعت إلى تفسير الذكاء تفسيراً منهجياً، وقد ركزت في مجملها على البعد المعرفي للذكاء وإمكانية قياسه كمياً. ومن أبرز هذه النظريات نظرية العامل العام، التي ترى أن الذكاء يتكون من قدرة عقلية عامة تؤثر في جميع الأنشطة العقلية، وأن الفروق الفردية بين الأفراد ترجع إلى اختلاف مستوى هذا العامل العام. وقد أشار عبد الرحمن إلى أن هذه النظرية أسهمت في ترسيخ فكرة الذكاء بوصفه قدرة واحدة يمكن قياسها بالاختبارات النفسية، وكان لها دوراً كبيراً في تطوير مقاييس الذكاء التقليدية (عبد الرحمن، ٢٠١٢، ص ٤٨).

كما ظهرت نظريات أخرى حاولت تجاوز فكرة العامل الواحد، من خلال التأكيد على تعدد القدرات العقلية. فقد أشار (زهران، 2005) إلى أن بعض الباحثين رآوا الذكاء مجموعة من القدرات المستقلة نسبياً، مثل القدرة اللفظية، والعددية، والمكانية، والاستدلالية، وأن الفرد قد يتميز في بعض هذه القدرات دون غيرها (زهران، ٢٠٠٥، ص ١٩٣). وقد أسهم هذا التوجه في توسيع مفهوم الذكاء، وجعل الفروق الفردية أكثر وضوحاً، خاصة لدى الأطفال في المرحلة الابتدائية.

وتكتسب هذه النظريات التقليدية أهمية تربوية، لأنها ساعدت في تفسير التباين بين التلاميذ في التحصيل الدراسي، وربطت بين مستوى الذكاء والنجاح الأكاديمي. وقد أشار (القريوتي، 2015)، يشير إلى أن هذه النظريات وُجّهت إليها انتقادات عدة، من أهمها تركيزها المفرط على الجوانب العقلية المجردة، وإهمالها للجوانب الانفعالية والاجتماعية التي تؤثر في أداء الطفل داخل المدرسة (القريوتي، ٢٠١٥، ص ٢٧). وعلى الرغم من هذه الانتقادات، فإن النظريات التقليدية أسهمت في وضع الأساس العلمي لدراسة الذكاء والفروق الفردية، ومهدت الطريق أمام ظهور نظريات أكثر شمولاً تراعي طبيعة النمو العقلي للأطفال.

ثانياً: النظريات الحديثة في تفسير الذكاء

جاءت النظريات الحديثة في تفسير الذكاء استجابةً للانتقادات التي وُجّهت إلى الاتجاهات التقليدية، وسعت إلى تقديم تصور أكثر شمولاً لطبيعة الذكاء بوصفه ظاهرة متعددة الأبعاد. وقد أكدت هذه النظريات أن الذكاء لا يقتصر على القدرات الأكاديمية، بل يشمل جوانب أخرى مثل التفاعل الاجتماعي، والقدرة على فهم المشاعر، والتكيف مع البيئة. ويشير (مرسي، 2008)، إلى أن هذا التوجه الحديث أكثر ملاءمة لدراسة ذكاء الأطفال،

أولاً: التأثيرات الوراثية والبيولوجية في الذكاء

تشير الأدبيات النفسية إلى أن العوامل الوراثية تشكل الأساس الأول الذي يُبنى عليه القدرات العقلية للفرد، إذ يولد الطفل باستعدادات عقلية تختلف من شخص لآخر تبعاً للتكوين الجيني (Deary, 2012, pp. 454-455). وقد أشار (زهران، 2005)، إلى أن الذكاء يتأثر بدرجة ملحوظة بالوراثة، حيث تنتقل بعض القدرات العقلية من الآباء إلى الأبناء، إلا أن هذا الانتقال لا يكون حتمياً أو ثابتاً، لكنه يخضع للتفاعل مع العوامل البيئية (زهران، 2005، ص 197).

وقد أكدت دراسات علم النفس الفسيولوجي أن سلامة الجهاز العصبي، ونمو الدماغ، وكفاءة الوظائف العصبية تعد من المحددات البيولوجية الأساسية للذكاء. ويشير (عبد الرحمن، 2012)، إلى أن الفروق في سرعة نمو الجهاز العصبي، وكفاءة الخلايا العصبية، تؤثر في مستوى الأداء العقلي لدى الأطفال، خاصة في مراحل التعليم الأولى (عبد الرحمن، 2012، ص 51). كما أن بعض الاضطرابات الصحية أو الوراثية قد تؤدي إلى تأخر في النمو العقلي، مما ينعكس سلباً على مستوى الذكاء والتحصيل الدراسي.

ويرى (القريوتي، 2015)، أن الوراثة لا تحدد مستوى الذكاء بشكل نهائي، وإنما تضع حدوداً عامة لإمكاناته، بينما تحدد البيئة مقدار الإفادة من هذه الإمكانيات (القريوتي، 2015، ص 27). وهذا يعني أن الطفل قد يمتلك استعداداً وراثياً مرتفعاً، لكنه لا يحقق مستوى ذكاء مناسباً إذا نشأ في بيئة فقيرة تعليمياً أو صحياً.

وتبرز أهمية فهم التأثيرات الوراثية في المجال التربوي من طريق مساعدة المعلمين والمختصين على إدراك أن الفروق الفردية في الذكاء طبيعية، وأنها لا تعكس بالضرورة نقصاً من الطفل، لكن قد تكون نتيجة فروق فطرية تتطلب أساليب تعليمية مناسبة تراعي هذه الاختلافات.

ثانياً: التأثيرات البيئية والاجتماعية في الذكاء

تؤدي البيئة دوراً محورياً في تنمية الذكاء، ولا سيما في مرحلة الطفولة المبكرة والمرحلة الابتدائية، حيث يكون الطفل أكثر قابلية للتأثر بالمثيرات الخارجية. وتشمل العوامل البيئية الأسرة، والمدرسة، والتغذية، والثقافة، والوضع الاجتماعي-الاقتصادي (Snow, 1992, pp. 8-9). وقد أكد (مرسي، 2008)، أن البيئة الأسرية الداعمة، التي توفر للطفل الأمن النفسي والتحفيز المعرفي، تسهم بدرجة كبيرة في تنمية قدراته العقلية (مرسي، 2008، ص 148).

تعد التغذية السليمة من العوامل البيئية الأساسية المؤثرة في الذكاء، إذ يشير (عبد الحميد، 2018) إلى أن سوء التغذية في سنوات الطفولة الأولى يؤثر سلباً في نمو الدماغ، ويؤدي إلى ضعف في الانتباه والذاكرة والقدرة على التعلم (عبد الحميد، 2018، ص 90). كما أن الرعاية الصحية الجيدة تسهم في توفير الظروف المناسبة للنمو العقلي السليم. أما المدرسة، فتعد من أهم البيئات المؤثرة في ذكاء الطفل، من خلال ما تقدمه من خبرات تعليمية وأنشطة صفية ولا صفية. ويشير (زهران، 2005)، إلى أن أساليب التدريس التي تراعي الفروق الفردية، وتستخدم استراتيجيات متنوعة، تساعد على تنمية القدرات العقلية للتلاميذ وتحسين مستوى ذكائهم (زهران، 2005، ص 199). في المقابل، فإن الاعتماد على أساليب تعليمية تقليدية موحدة قد يؤدي إلى إعاقة نمو بعض القدرات العقلية. كما يؤثر المستوى الاجتماعي-الاقتصادي للأسرة في الذكاء، حيث توفر الأسر ذات الدخل المرتفع فرصاً تعليمية وثقافية أفضل، مقارنة بالأسر ذات الدخل المحدود. ويؤكد القريوتي أن هذه الفروق البيئية تفسر جانباً كبيراً من التباين في مستوى الذكاء والتحصيل الدراسي بين الأطفال (القريوتي، 2015، ص 28).

وبناءً على ما تقدم، يتضح من طريق هذا المطلب أن الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية هو نتاج تفاعل متكامل بين العوامل الوراثية والبيئية، وأن أي تفسير أحادي الجانب لا يمكن أن يحيط بهذه الظاهرة المعقدة. كما أن إدراك هذه العوامل يمثل أساساً علمياً لتطوير العملية التعليمية، وتصميم برامج تربوية تراعي الفروق الفردية، وتسهم في تنمية القدرات العقلية للأطفال بصورة متوازنة.

المطلب الثاني: أدوات القياس النفسي للذكاء وتطبيقات الفروق الفردية

يمثل قياس الذكاء أحد الركائز الأساسية في علم النفس التربوي، إذ لا يمكن فهم الفروق الفردية بين المتعلمين أو تفسيرها تفسيراً علمياً دقيقاً دون الاعتماد على أدوات القياس النفسي المتمثلة بالصدق والثبات والموضوعية (Wechsler, 2008, pp. 5-6). وتزداد أهمية القياس النفسي للذكاء في المرحلة الابتدائية، لكونها مرحلة تشخيصية بالغة الأهمية، يُبنى عليها توجيه الطفل تعليمياً ونفسياً، وتحديد احتياجاته الخاصة، وتوجيه مساره الدراسي المستقبلي. وقد أشار العديد من الباحثين إلى أن القياس النفسي لا يهدف إلى تصنيف الأطفال بقدر ما يسعى إلى فهم قدراتهم العقلية، وتحديد جوانب القوة والضعف لديهم، بما يخدم العملية التعليمية ويجعلها أكثر فاعلية وعدالة (ملحم، 2018، ص 87).

ولا تقتصر أهمية أدوات قياس الذكاء على الجانب التشخيصي، لكن تمتد إلى التطبيقات التربوية للفروق الفردية، حيث تسهم نتائج القياس في تصميم المناهج الدراسية، واختيار طرائق التدريس المناسبة، وتوجيه الإرشاد النفسي والتربوي. وقد أكد (مرسي، 2008)، أن تجاهل نتائج القياس النفسي يؤدي إلى اعتماد تعليم نمطي تقليدي لا يراعي الفروق الفردية، مما ينعكس سلباً على التحصيل الدراسي والدافعية للتعلم (مرسي،

2008، ص 149). وعلاوة على ذلك، يتطرق هذا المطلب في فرعه الأول أدوات القياس النفسي للذكاء وخصائصها السيكمترية، بينما يعالج الفرع الثاني التطبيقات التربوية للفروق الفردية في الذكاء.

أولاً: أدوات القياس النفسي للذكاء وخصائصها السيكمترية

تُعرف (أدوات القياس النفسي للذكاء): بأنها الوسائل العلمية التي تهدف إلى تقدير مستوى القدرات العقلية لدى الفرد بطريقة كمية منظمة، اعتماداً على معايير محددة تسمح بالمقارنة بين الأفراد (Anastasi & Urbina, 1997, pp. 7-8). وقد أشار (عبد الحميد، 2018) إلى أن الاختبارات النفسية للذكاء تُعد من أكثر أدوات القياس استخداماً في الميدان التربوي، لما توفره من معلومات دقيقة حول القدرات العقلية للتلاميذ، خاصة في المراحل الدراسية الأولى (عبد الحميد، 2018، ص 88).

ومن أشهر أدوات قياس الذكاء المستخدمة في المجال التربوي اختبارات الذكاء الفردية والجماعية، والتي صُممت خصيصاً لقياس القدرات العقلية العامة، مثل الفهم والاستدلال، والذاكرة، والانتباه. ويشير (ملحم، 2018)، إلى أن نجاح أي اختبار ذكاء يعتمد على توافر خصائص سيكمترية أساسية، في مقدمتها الصدق، الذي يدل على مدى قياس الاختبار لما وُضع لقياسه، والثبات، الذي يعكس اتساق النتائج عند إعادة تطبيق الاختبار في ظروف متشابهة (ملحم، 2018، ص 90).

كما تُعد الموضوعية من الخصائص المهمة، وتعني خلو نتائج الاختبار من التحيز الشخصي للفاحص، إضافة إلى المعايير التي تتيح تفسير درجات الأفراد مقارنة بالمستوى العام لأقرانهم. وقد نبّه (زهران، 2005) إلى خطورة استخدام اختبارات ذكاء غير مكيفة ثقافياً، إذ قد تؤدي إلى نتائج غير دقيقة تعكس الخلفية الثقافية أكثر مما تعكس القدرة العقلية الحقيقية للطفل (زهران، 2005، ص 201).

ومشكلة التحيز الثقافي من أبرز الإشكالات المرتبطة بقياس الذكاء، خاصة عند تطبيق اختبارات أجنبية على أطفال من بيئات ثقافية مختلفة. وقد أكد (القريوتي، 2015)، ضرورة تطوير أو تكيف أدوات قياس تراعي الخصوصية الثقافية واللغوية للمجتمع العربي، لضمان العدالة في التقييم وتجنب إساءة تفسير نتائج الاختبارات (القريوتي، 2015، ص 30).

ثانياً: التطبيقات التربوية للفروق الفردية في الذكاء

أن التطبيقات التربوية للفروق الفردية في الذكاء من أهم مجالات الإفادة من نتائج القياس النفسي، إذ تسهم في توجيه العملية التعليمية نحو مراعاة قدرات المتعلمين المختلفة. وقد أشار (مرسي، 2008)، إلى أن فهم الفروق الفردية في الذكاء يساعد المعلمين على اختيار طرائق تدريس متنوعة، تفصح المجال لكل تلميذ التعلم وفق قدراته واستعداداته، بدل الاعتماد على أسلوب تعليمي واحد (مرسي، 2008، ص 150).

وفي مجال تصميم المناهج الدراسية، تسهم نتائج قياس الذكاء في إعداد مناهج دراسية مرنة تتضمن أنشطة تربوية متعددة المستويات، تراعي التفاوت في القدرات العقلية بين التلاميذ. ويؤكد (زهران، 2005)، أن التعليم الذي يراعي الفروق الفردية يؤدي إلى تحسين التحصيل الدراسي، وتقليل نسب الرسوب والتسرب المدرسي، وتعزيز ثقة الطفل بنفسه (زهران، 2005، ص 203).

أما في الإرشاد النفسي والتربوي، فإن نتائج قياس الذكاء تُستخدم في تشخيص حالات التأخر الدراسي، وصعوبات التعلم، وتوجيه التلاميذ إلى البرامج التعليمية المناسبة لقدراتهم وإمكاناتهم. ويشير (عبد الحميد، 2018)، إلى أن التوجيه المبكر القائم على القياس العلمي يسهم في استثمار قدرات الأطفال وتنميتها بدلاً من إهدارها أو كبثها (عبد الحميد، 2018، ص 92).

كما تؤدي الفروق الفردية في الذكاء دوراً مهماً في تنمية القدرات العقلية، من طريق برامج تدريبية تهدف إلى تحسين مهارات التفكير، والانتباه، والذاكرة. ويؤكد (القريوتي، 2015)، أن الذكاء قابل للتنمية إذا توفرت بيئة تعليمية محفزة تعتمد على التشجيع والتفاعل الإيجابي، وتراعي الخصائص الفردية للأطفال (القريوتي، 2015، ص 31).

وبناءً على ما تقدم، يتضح من طريق هذا المطلب أن أدوات القياس النفسي للذكاء تمثل أساساً علمياً لفهم الفروق الفردية بين طلبة المرحلة الابتدائية، وأن حسن توظيف نتائج هذه الأدوات في المجال التربوي يسهم في تحسين جودة التعليم وتحقيق العدالة التعليمية بين التلاميذ. كما أن مراعاة الخصائص السيكمترية للاختبارات، والوعي بالتطبيقات التربوية للفروق الفردية، يمثلان مدخلاً أساسياً لتنمية القدرات العقلية للأطفال بصورة متوازنة.

8. الدراسات السابقة

أولاً: دراسة القريوتي (2015) "سيكولوجية الفروق الفردية".

هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة الفروق الفردية بين الأفراد في القدرات العقلية والمعرفية، وبيان العوامل الوراثية والبيئية المؤثرة فيها. وتوصلت الدراسة إلى أن الفروق الفردية في الذكاء تمثل ظاهرة طبيعية ناتجة عن التفاعل بين الوراثة والبيئة، وأن مراعاتها تسهم في تحسين العملية التعليمية.

وجه الاستفادة من الدراسة: استند البحث الحالي من الإطار النظري الذي قدمته الدراسة في تفسير الفروق الفردية في الذكاء والعوامل المؤثرة فيها.

جدول رقم (2) عينة البحث

ت	نوع العينة العلمية	سبب اختيارها
1	مصادر عربية في علم النفس التربوي	لتوضيح المفاهيم الأساسية للذكاء والفروق الفردية
2	مصادر أجنبية حديثة	لعرض الاتجاهات والنظريات الحديثة في تفسير الذكاء
3	دراسات سابقة	للاستفادة من نتائجها في تحليل مشكلة البحث
4	مراجع عن المرحلة الابتدائية	لبيان خصائص النمو العقلي والمعرفي للأطفال
5	مراجع في القياس النفسي	لتوضيح أدوات قياس الذكاء وخصائصها العلمية

رابعاً: أداة البحث

اعتمد البحث على تحليل المحتوى العلمي بوصفه أداة مناسبة للدراسات الوصفية التحليلية. وقد تم استخدام هذه الأداة لتحليل المادة العلمية الواردة في المصادر والدراسات السابقة، واستخراج الأفكار الرئيسية المرتبطة بموضوع البحث.

1. مفهوم الذكاء وخصائصه لدى طلبة المرحلة الابتدائية .
2. مفهوم الفروق الفردية وأهميتها التربوية .
3. النظريات النفسية المفسرة للذكاء .
4. العوامل الوراثية والبيئية المؤثرة في الذكاء.
5. أدوات قياس الذكاء وخصائصها السيكمترية.
6. التطبيقات التربوية للفروق الفردية في الذكاء.

خامساً: صدق أداة التحليل

تحقق صدق أداة التحليل من خلال ارتباط محاورها المباشر بعنوان البحث وأهدافه ومشكلته. فقد صيغت محاور التحليل بما يغطي الجوانب الأساسية لموضوع سايكولوجية الفروق الفردية في الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية.

كما جرى التأكد من مناسبة هذه المحاور من خلال مقارنتها بما ورد في الأدبيات النفسية والتربوية والدراسات السابقة، للتأكد من أنها تمثل أبعاد الموضوع تمثيلاً علمياً مناسباً.

سادساً: ثبات التحليل

تحقق ثبات التحليل من خلال مراجعة المادة العلمية أكثر من مرة، وإعادة تصنيف المعلومات وفق محاور البحث للتأكد من اتساق النتائج المستخلصة. كما اعتمد الباحث على مصادر علمية متعددة ومتنوعة، مما ساعد على تقليل التحيز في عرض المعلومات وتفسيرها.

سابعاً: خطوات إجراء البحث

اتبع الباحث في إعداد البحث الخطوات الآتية:

1. تحديد موضوع البحث وصياغة عنوانه .
2. تحديد مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وحدوده .
3. تحديد المصطلحات الأساسية المرتبطة بالبحث .
4. جمع المصادر العلمية والدراسات السابقة ذات العلاقة بالذكاء والفروق الفردية .
5. تصنيف المادة العلمية وفق محاور البحث الرئيسية .
6. تحليل النظريات النفسية التي فسرت الذكاء والفروق الفردية .
7. بيان العوامل المؤثرة في الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية .
8. عرض التطبيقات التربوية لمراعاة الفروق الفردية داخل الصف الدراسي .
9. استخلاص النتائج ومناقشتها وتفسيرها .

صياغة الاستنتاجات والتوصيات في ضوء ما توصل إليه الباحث.

ثامناً: الوسائل المعتمدة في تحليل البيانات

اعتمد البحث على التحليل الوصفي والنقدي للمعلومات، من خلال المقارنة بين آراء الباحثين والنظريات والدراسات السابقة. ولم يستخدم الباحث وسائل إحصائية ميدانية، لأنه لا يعتمد على تطبيق اختبار أو استبانة على عينة من الطلبة، وإنما يعتمد على تحليل الأدبيات العلمية ذات الصلة بموضوع البحث.

10. عرض النتائج ومناقشتها وتفسيرها

أولاً: عرض النتائج

في ضوء تحليل الأدبيات النفسية والتربوية والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث، توصل البحث إلى النتائج الآتية:

ثانياً: دراسة زهران (2005) "علم النفس التربوي".

هدفت الدراسة إلى توضيح مفهوم الذكاء وأهميته في المجال التربوي، ودراسة أثره في التحصيل الدراسي والتوافق المدرسي. وأظهرت النتائج وجود علاقة إيجابية بين مستوى الذكاء والتحصيل الدراسي، وأن اختلاف مستويات الذكاء بين التلاميذ ينعكس على أدائهم التعليمي.

وجه الاستفادة من الدراسة: استفاد البحث الحالي من المفاهيم والنظريات المتعلقة بالذكاء والفروق الفردية لدى الأطفال في المرحلة الابتدائية.

ثالثاً: دراسة (Sternberg, 2018) "The Nature of Human Intelligence".

هدفت الدراسة إلى تحليل مفهوم الذكاء من منظور حديث، وبيان أبعاده المتعددة والعوامل المؤثرة فيه. وأكدت نتائج الدراسة أن الذكاء لا يقتصر على القدرات الأكاديمية فقط، بل يشمل مهارات التفكير والتكيف وحل المشكلات.

وجه الاستفادة من الدراسة: دعمت الدراسة الحالية في تفسير الذكاء بوصفه قدرة متعددة الأبعاد وقابلة للتطوير.

رابعاً: دراسة (Gardner, 2011) "Frames of Mind: The Theory of Multiple Intelligences".

هدفت الدراسة إلى تقديم نظرية الذكاءات المتعددة، التي ترى أن الأفراد يمتلكون أنواعاً مختلفة من الذكاء. وأظهرت النتائج أن التلاميذ يختلفون في أنماط الذكاء التي يمتلكونها، الأمر الذي يستوجب تنويع أساليب التدريس.

وجه الاستفادة من الدراسة: أسهمت في تعزيز الجانب النظري المتعلق بتنوع القدرات العقلية لدى طلبة المرحلة الابتدائية.

9. منهجية البحث وإجراءاته:

أولاً: منهج البحث

اعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لملاءمته لطبيعة موضوع البحث الذي يتناول سايكولوجية الفروق الفردية في الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية. ويُعد هذا المنهج مناسباً للدراسات النظرية التي تهدف إلى وصف الظاهرة وتحليلها وتفسيرها في ضوء الأدبيات العلمية والدراسات السابقة.

وقد استخدم الباحث هذا المنهج من خلال جمع المادة العلمية المتعلقة بالذكاء والفروق الفردية لدى الأطفال، ثم تحليلها وتصنيفها وفق محاور البحث الرئيسية، وهي: مفهوم الذكاء، مفهوم الفروق الفردية، النظريات المفسرة للذكاء، العوامل المؤثرة فيه، أدوات قياسه، والتطبيقات التربوية المترتبة على مراعاة الفروق الفردية داخل الصف الدراسي.

ثانياً: مجتمع البحث

يتمثل مجتمع البحث في المصادر العلمية والأدبيات النفسية والتربوية التي تناولت موضوع الذكاء والفروق الفردية لدى طلبة المرحلة الابتدائية، وتشمل الكتب العلمية، والدراسات السابقة، والبحوث المنشورة، والنظريات النفسية ذات الصلة بموضوع البحث (جدول 1).

وبما أن البحث الحالي بحث وصفي تحليلي غير ميداني، فإن مجتمع البحث لا يتمثل في أفراد أو طلبة جرى تطبيق أداة عليهم، وإنما يتمثل في المادة العلمية المتاحة حول موضوع البحث.

جدول رقم (1) مجتمع البحث

ت	مكونات مجتمع البحث	طبيعتها
1	الكتب النفسية والتربوية	مصادر نظرية متخصصة
2	الدراسات السابقة العربية	دراسات مرتبطة بالذكاء والفروق الفردية
3	الدراسات السابقة الأجنبية	دراسات ونظريات حديثة في تفسير الذكاء
4	المراجع التربوية	مصادر خاصة بخصائص المرحلة الابتدائية
5	أدوات القياس النفسي المنشورة	مصادر توضح خصائص قياس الذكاء

ثالثاً: عينة البحث

تم اختيار عينة البحث بطريقة قصدية، إذ اعتمد الباحث على مجموعة من المصادر والدراسات التي ترتبط بصورة مباشرة بموضوع البحث، وتساعد في تحقيق أهدافه. وقد شملت العينة المصادر التي تناولت الذكاء، والفروق الفردية، العوامل الوراثية والبيئية، القياس النفسي، والتطبيقات التربوية في المرحلة الابتدائية (جدول 2).

ولا يقصد بالعينة هنا عينة بشرية من التلاميذ، وإنما يقصد بها عينة علمية من المصادر والدراسات التي جرى تحليلها والاستفادة منها في بناء الإطار النظري ومناقشة النتائج.

1. إن الذكاء لدى طلبة المرحلة الابتدائية ليس قدرة عقلية ثابتة، بل هو قدرة قابلة للنمو والتطور في ضوء العوامل الوراثية والبيئية والتربوية.
2. تظهر الفروق الفردية في الذكاء لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من خلال اختلافهم في سرعة التعلم، ومستوى الفهم، والقدرة على الانتباه، والتذكر، وحل المشكلات.
3. لا يمكن تفسير الفروق الفردية في الذكاء بالوراثة وحدها أو بالبيئة وحدها، وإنما هي نتيجة تفاعل بين الاستعدادات الوراثية والخبرات البيئية والتعليمية.
4. إن المرحلة الابتدائية تعد من أكثر المراحل أهمية في نمو الذكاء؛ لأنها تمثل الأساس الذي يُبنى عليه المهارات العقلية والمعرفية اللاحقة.
5. يؤدي اعتماد طرائق تدريس موحدة داخل الصف إلى إهمال قدرات بعض التلاميذ، مما قد يسبب ضعف التحصيل الدراسي وانخفاض الدافعية نحو التعلم.
6. تسهم مراعاة الفروق الفردية في تحسين جودة التعليم، لأنها تساعد المعلم على اختيار أنشطة وطرائق تدريس مناسبة لمستويات التلاميذ المختلفة.
7. تساعد أدوات القياس النفسي المناسبة على فهم قدرات التلاميذ وتشخيص جوانب القوة والضعف لديهم، بشرط أن تكون ملائمة لعمر الطفل وبيئته الثقافية واللغوية.
8. إن دور المعلم لا يقتصر على نقل المعرفة، بل يشمل ملاحظة الفروق الفردية بين التلاميذ وتكييف أساليب التدريس بما يتناسب مع قدراتهم.

ثانياً: مناقشة النتائج

تدل النتائج السابقة على أن الفروق الفردية في الذكاء تمثل ظاهرة طبيعية بين طلبة المرحلة الابتدائية، ولا ينبغي النظر إليها بوصفها مشكلة سلبية بحد ذاتها. فاختلاف التلاميذ في مستوى الذكاء وسرعة التعلم أمر يرتبط بطبيعة النمو العقلي والمعرفي، كما يرتبط بالظروف الأسرية والمدرسية التي يعيشها الطفل.

وتوضح النتائج أن المرحلة الابتدائية مرحلة حاسمة في بناء القدرات العقلية؛ فيها يبدأ الطفل باكتساب مهارات القراءة والكتابة والحساب والتفكير المنظم. لذلك فإن أي إهمال للفروق الفردية في هذه المرحلة قد ينعكس على مسار الطفل الدراسي في المراحل اللاحقة.

كما تؤكد النتائج أن التعليم الموحد الذي يتعامل مع جميع التلاميذ بالطريقة نفسها لا يحقق العدالة التربوية؛ لأن التلاميذ يختلفون في قدراتهم واستعداداتهم وأنماط تعلمهم. فيعضهم يحتاج إلى أنشطة إثرائية، وبعضهم يحتاج إلى تبسيط في الشرح وتكرار وتدرج في عرض المادة التعليمية.

وتبين النتائج أيضاً أن العوامل البيئية والتربوية تؤدي دوراً مهماً في تنمية الذكاء، فالبيئة الأسرية الداعمة، والمدرسة المحفزة، والمعلم الواعي بالفروق الفردية، كلها عوامل تساعد على تطوير قدرات الطفل. أما البيئة الفقيرة بالمتنبرات التعليمية أو القائمة على المقارنة السلبية بين التلاميذ فقد تسهم في إضعاف الدافعية والثقة بالنفس.

أما أدوات قياس الذكاء، فإن أهميتها لا تكمن في تصنيف التلاميذ أو الحكم عليهم، بل في فهم قدراتهم وتحديد احتياجاتهم التعليمية. لذلك ينبغي أن تستخدم هذه الأدوات بحذر وبصورة علمية، وأن تكون مناسبة لخصائص الطفل العمرية والثقافية.

ثالثاً: تفسير النتائج

يمكن تفسير النتائج في ضوء طبيعة الذكاء بوصفه قدرة عقلية متعددة الأبعاد، تتأثر بعوامل داخلية وخارجية. فالطفل قد يمتلك استعدادات عقلية جيدة، إلا أن هذه الاستعدادات تحتاج إلى بيئة تعليمية مناسبة حتى تنمو وتتطور.

كما يمكن تفسير ظهور الفروق الفردية بين التلاميذ من خلال اختلاف الخبرات التي يتعرضون لها قبل دخول المدرسة وبعدها. فالأطفال الذين يحصلون على دعم أسري وتعليمي مناسب غالباً ما تكون لديهم فرص أفضل في تنمية مهاراتهم العقلية والمعرفية، مقارنة بالأطفال الذين يفتقرون إلى هذا الدعم.

وتفسر النتائج كذلك أهمية دور المعلم في المرحلة الابتدائية؛ لأن المعلم هو الأقرب إلى ملاحظة التباين بين التلاميذ داخل الصف. وكلما كان المعلم قادراً على تشخيص هذه الفروق، استطاع أن يقدم تعليماً أكثر فاعلية، ويقلل من شعور بعض التلاميذ بالإحباط أو العجز.

وتشير النتائج إلى أن مراعاة الفروق الفردية لا تعني تخصيص تعليم منفصل لكل تلميذ، وإنما تعني تنوع طرائق التدريس والأنشطة والتقويم بما يسمح لكل تلميذ أن يتعلم وفق قدراته وإمكاناته.

رابعاً: الاستنتاجات

1. الفروق الفردية في الذكاء ظاهرة طبيعية بين طلبة المرحلة الابتدائية.
2. الذكاء قدرة قابلة للنمو والتطور ولا يمكن عدّه صفة ثابتة بصورة مطلقة.
3. تتأثر الفروق الفردية في الذكاء بتفاعل العوامل الوراثية والبيئية والتربوية.

خامساً: التوصيات

1. ضرورة تدريب معلمي المرحلة الابتدائية على تشخيص الفروق الفردية بين التلاميذ.
2. اعتماد طرائق تدريس متنوعة تراعي اختلاف مستويات الذكاء داخل الصف الواحد.
3. استخدام أنشطة تعليمية متدرجة تناسب التلاميذ المتفوقين والمتوسطين وبطيئي التعلم.
4. توظيف نتائج القياس النفسي في دعم التلاميذ لا في تصنيفهم أو الحكم عليهم.
5. تعزيز التعاون بين الأسرة والمدرسة لتنمية قدرات الطفل العقلية والمعرفية.
6. الابتعاد عن المقارنة السلبية بين التلاميذ، والتركيز على تنمية قدرات كل تلميذ بحسب إمكاناته.
7. إجراء دراسات ميدانية لاحقة تقيس الفروق الفردية في الذكاء لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية باستخدام أدوات نفسية مقننة.

المصادر

- القريوتي، سليمان محمد. سيكولوجية الفروق الفردية. عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.
- زهران، حامد عبد السلام. علم النفس التربوي. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٥.
- عبد الرحمن، سعد جلال. الذكاء: نظرياته وقياسه. القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٢.
- ملحم، سامي محمد. القياس والتقويم في التربية وعلم النفس. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠١٨.
- عبد الحميد، أحمد جابر. الاختبارات النفسية: أسسها وتطبيقاتها. القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٨.
- مرسي، محمد منير. التربية وعلم النفس التربوي. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨.
- الشناوي، محمد حسن. علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة). القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠١٠.
- Sternberg, R. J. The nature of intelligence. Cambridge University Press, 2022.
- Gardner, H. Frames of mind: The theory of multiple intelligences. Basic Books, 2011.
- Deary, I. J. Intelligence. Annual Review of Psychology, 2012.
- Ceci, S. J. How much does schooling influence intelligence? American Psychologist, 1991.
- Woolfolk, A. Educational psychology. Pearson, 2020.
- Wechsler, D. Wechsler Intelligence Scale for Children (WISC-IV) Manual. Pearson, 2008.
- Snow, R. E. Aptitude theory: Yesterday, today, and tomorrow. Educational Psychologist, 1992.
- Anastasi, A., & Urbina, S. (1997). Psychological Testing (7th ed.). Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall.